

## أدونيس يرد:

# الثقافة.. الجريمة.. التسليّة

الصدّيق العزيز الدكتور سهيل ادريس،

تحيةً ومودةً،

فوجئت بنشرِك في مجلّتك الآداب (آذار، نيسان ١٩٩٥) التي أكنُّ لها احتراماً كبيراً، والتي هي جزءٌ مضيءٌ في ذاكرتي الثقافية، ما سمّيتُ بـ«ثلاثة ردود على أدونيس»، مع أنني لم أفاجأ بها هي نفسها، أو بأصحابها. فالحقّ أنّها لم تكن «ردوداً»، وإنما كانت تجريحاً وتخويناً. وهي، بوصفها كذلك، لا تنتمي إلى الثقافة، اختلافاً وحواراً، وإنما تنتمي، بالأحرى، إلى عالم أسأسه الجريمة، ومدارة التجريم.

أقول: فوجئتُ، لأنك أنت نفسك صارمٌ في إدانتك التقدّ الذي يكون «تجريحاً» و«إدانةً». وأذكركُ هنا بقولك في هذا الصدد: «فالتقاضي هم، على الغالب، إما أدباء موتورون حاسدون، يُقبلون على الأثر في نيتهم أن يحطّموه.. أو مدّاحون مُغالون.. أو أدباء يؤمنون بنظرة معيّنة محدودة يُريدون أن يُطبّقوا الأثر عليها، فإذا انطبق فهو الأثر الرائع، وإذا حادّ كان تافهاً» (الآداب، في عددها الخاصّ بالتقد، يناير ١٩٦١). أليس في كلامك هنا ما ينطبق على هذه «الردود» وأصحابها؟ وكيف يكون الأمر، إذن، وهذه «الردود» لا تنقد الأثر، وإنما «تجرّم» الشخص نفسه و«تخوّنه»؟

**«الردود» الثلاثة عليّ لا تنتمي إلى الثقافة، بل إلى الجريمة  
و«الآداب» تبثُّ هائلًا!**

كنتُ في نشرِك هذه «الردود» أيتها الصدّيق العزيز، كمن يحوّل مجلّته إلى محكمةٍ للتفتيش، وكمن يجعل من منبر ثقافتي رعاها وسهر عليه، يتعب ونضال كبيرين، إلى مكانٍ تحوّل فيه اللغة إلى مجزرة، والكلمات إلى خناجر وقنابل.

وفي مثل هذه الحال لا يعود «المتهّم» قادرًا على الدفاع عن نفسه. فهي حالٌ تتجاوز حدود «الاتهام» إلى «القتل». وليس «المتهّم»

هنا سُقراط لكي يحاورَ قاتليه، إضافةً إلى أنّ «المتهّم» هو نفسه يكونُ قد «مات».

اسمع لي، إذن، أنا «قتيلك»، من حيث أنك «تبيّنت» «قاتلي»، أنّ أوضح لك، شخصيًا، ولقراء الآداب الأضفياء التابيين، بضع نقاطٍ لا تتعلق بشخصي - فأنا أضع نفسي فوق الدفاع عنها، إزاء هذا «القتل» - وإنما تتعلق بالثقافة العربية، وبالوعي الفكري العربي، وبأخلاقية الكتابة.

لعلك تلقّيت رسالة من الأستاذ الشاعر والروائي والباحث التونسي عبد الوهاب المؤدّب، يخبرك فيها أنّه هو الذي كان مُستشارَ اليونيسكو في الإعداد لـ«ندوة تونس» حول الأدب العربي، تنظيمًا واختياراً للمدعوين.. وأنتي حضرتُ هذه الندوة بصفتي مدعوًا كغيري.. ولم تكن لي أيّة علاقةٍ بها، على الإطلاق، من حيث التخطيط لها، أو تنظيمها. وهذا ما كنتُ أوضحته في بيان نشرته، مشكورةً، جريدة القدس، التي كانت قد نشرت المقال نفسه الذي نشرته الآداب. لكنّ الدكتور، الأكاديمي، الأستاذ الجامعي، صاحب المقال [المقصود د. صبري حافظ - الآداب] لم يأبه لهذا التوضيح. فليستُ صيحةً الوقائع ما يهّمه، كما بدا ذلك واضحاً، وإنما يهّمه الاتهامُ والتجريح. وهذه النية الاتهامية التجريحية هي التي تحكّم وتوجّه كلّ ما يقوله عني، مستنداً في ذلك إلى الاختلاق والتزوير، وإلى تأويلاتٍ بالغة الفساد، إضافةً إلى حقدٍ هائلٍ أحرار في قُدرة الإنسان على احتضانه و«التمتع» به.

هذا المستوى من الفهم والوعي والأخلاق هو نفسه ما نجدُه لدى السيّد الدكتور في كلامه على ما كتبتُه عن محمد بن عبد الوهاب والوهابية. فهو، متابعٌ لتقليد ثقافتي مشؤوم، سياسي - مذهبي، أو «فريقي»، بالمصطلح القديم، لا يُجيز الكلام أصلاً على «العدو» الفكري، ويقطع بعزله، وتبذره، أو قتله. ولكن جاز التحدّث عنه، فلا بُدّ من أن يُقرنَ اسمه، كلّما ذُكر، بعبارةٍ مثل: «الزنديق»، «المرتد»، «الشعوبي» «المبتدع»، «تبعه الله»، و«نعوذ بالله منه ومن شُورره».

## إلى أدونيس

عزيزي أدونيس،

تحية وشوقاً ومحبة،

أودُّ أن أحتي أولاً فرارك بأن ترة على متفديك. فهذه «المعركة» التي كنتَ وماتزال متخوّراً أساسياً من محاورها، لا يجوز أن تبقى في منأى عنها طوال هذه الفترة. فاجتأذك عنها - «ترفعاً» أو «تجاهلاً» - خسارة للحقيقة التي هي في النهاية نتيجة لأفكار واجتهادات متعددة، أيًا يكن خلافنا مع هذه الأفكار والاجتهادات مادامت حريصة على الموضوعية.

ومن هذا المنطلق عنه، رأيتُ من واجبي - وتيناً للحقيقة، واحتراماً لأصدقائي/أصدقائي» (كما تقول أنت) - أن أنشر عينة من الردود على ما أثارته مقالاتك المنشورة في الآداب في العدد العاشر من السنة الماضية وما أثاره حضورك لمؤتمر غرناطة. واسمع لي، يا عزيزي أدونيس، ألا أشاطرك الرأي في ما ذهبت إليه في رسالتك الطويلة، من أن تلك الردود ليست أهلاً باسمها، وليست أهلاً بالثقافة ولا حتى بالكتابة. فما تُراك كنت تريدنا أن نسميها: «تهجمات»، «تجريحات»، «إهانات»؟ واسمع لي أيضاً أن أعتت هذه الردود - رغم خلافي مع بعض ما جاء بها، بل ورغم اعتراضني على الحدة التي وسمت بعضها - بأنها جزء من المعارك الثقافية التي لا نخجل في الآداب من أن نفتح صدرنا لها.

لقد تم اصطفاك هذه الردود بوصفها أفضل ما وردنا. بل لا نذبح سراً إذا قلنا أننا قد صرنا صفاً عن عدد كبير من العبارات والجمل التي تحمل تهجماً شخصياً عليك، وتحملنا في ذلك غصت الكثيرين واتهمنا بعضهم بـ«المزاجية» و«الديكتاتورية»... والمرضى! ولكننا آلبنا على أنفسنا أن نركب هذا المركب الوعر دون أن نخشى في ذلك لومة لائم.

أنا لا «أنتي» جميع ما كتبت في الآداب، ولا «أنتي» ما كتبت ضدك أو جميع ما كتب ضدك، ولا أنتي - بالمنطق عنه - كل ما كتبت في الآداب وما كتبه - مشكوراً - فيها. بل أنا أستغرب أن تهمني بالانحياز المهني إلى «خصوصك» حين «أعطيتهم صدر» المجلة (كيف تكون الصفحة ١٥ صدرًا لمجلة، بالمناسبة؟ أليس أخرى بأن تسمى بطناً؟)، في حين أنك تصدّرت حقاً عدداً سابقاً (الصفحة ٢ من العدد العاشر)، وتواتت «ذاكرة الآداب» قبل شهر... وأنا الانحياز السياسي فذلك شأن آخر، وأربأ بنفسني أن أخلط بين المستويين!

والغريب أيضاً أنّ واحداً من «خصوصك» اتهمنا بأننا نعاملك معاملة متميزة (ص ١٧ - هامش ٢، من العدد الماضي). فأيكما نصدق؟ وأيكما نُغضب؟ وإلى أيكما نتقرب؟

عزيزي أدونيس،

المعارك الثقافية في وطننا، وفي كل مكان، قديمة وستستمر. أمل أن تبقى جزءاً منها، لأننا جزء من هذا الوطن. أعتذر عن كل ما قد تعبته في ردود من «تبييتهم» قدحاً شخصياً بك. وأتهد أن أبقى صفحاتي - صدرًا ووطنًا - لكل الآراء الثقافية الرصينة، وأن أتدخل - بوصفي صاحب المجلة - كلما رأيتُ داعياً لذلك حرصاً على سلامة الحوار الثقافي واستقامته.

لك متي كلّ الحب والصدافة والإعجاب، وإلى لقاء قريب.

سهيل ادريس

والويل، إذن، لمن يتلقظ باسمه، فإنه يتماهى معه، ويصبح ملعوناً مثله. فكيف، إذن، تكون حال من يتحدث عنه باحترام، ودقة، وموضوعية؟

«العدو الفكري» في هذا التقليد المشووم، يجب محوه أو خرقه، بشكلي أو آخر.. وإذا تعدر ذلك، فلا بد من تشويهه أو تأويل ما يقوله بطريقة تُخرجه عن مقاصده الأصلية، وتؤدي إلى إخراجها من تراث الأمة.

لهذه المماهة مع «الشر» أو ما يُظن أنه كذلك، ما يناقضها، كما هي الحال في العقلية السحرية البدائية، وهي المماهة مع «الخير» أو ما يُظن أنه كذلك. يكفي أن يكتب أحدهم عن «بطل» أو «قضية» وطنية لكي تُماهى بهما، وتطلق عليه أوصاف البطولة والوطنية.

ولعلك تذكر، فأنت عارفٌ بذلك وشاهدٌ عليه، أنه كان كافياً أن أهدي، مجرد إهداء، قصيدة «مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف»، تحية وإعجاباً ووفاءً لذيّن كريم تعرفه أنت شخصياً، إلى القائد الراحل جمال عبد الناصر، حتى أصبح في نظر أعدائه، خصوصاً، «ناصرياً» ومن دُعاة «الناصرية».

لعلك تذكر أيضاً، في إطار هذه العقلية السحرية البدائية، أنّ المرحوم شفيق الكمالي، وزير الثقافة السابق في العراق، كان يُجيب من يسأله حول منع كتب أدونيس من الدخول إلى العراق: «لا تسألني، فلو كان اسم أدونيس على القرآن نفسه، لمنعناه من الدخول». فأنا، في نظره، متماء - إسمًا وقولاً - مع «الشر» المطلق! وقد دفعتم الثمن غالياً، هنا وهناك. ولست نادماً على ذلك. إنني، على العكس، أعتز به.

\*\*\*

ليست مقدّمتي لكتاب محمد بن عبد الوهاب إلا فصلاً من كتاب الثابت والمتحوّل (الطبعة الجديدة، بأجزائها الأربعة، دار الشافي، بيروت ١٩٩٤). وقد صدرت مع مختارات من كتاباته، عن دار العلم للملايين، ضمن مشروع عن مفكري «عصر النهضة» (وأنا أول من نقد هذه التسمية، ودعا إلى تغييرها)، سميناه «ديوان النهضة». وقد صدرت، إلى جانب هذا الكتاب، كتب أخرى عن محمد عبده، والكواكبي، ورشيد رضا، وشوقي، والزهاوي. وجميع مقدّماتي لهذه الكتب فصول من كتاب الثابت والمتحوّل.

وبما أنني أحرص بدنياً، وأقصى الحرص، على الخروج من ذلك التقليد الثقافي المذهبي المشووم، فقد قدّمت الوهابية بموضوعية كاملة، وشرحت موقفها من داخل - موضحاً أنّ ما أقوله هو ما يبدو لي من خلل النظر الوهابية، مُعنياً في صدق الموضوعية وشفافيتها. وقد طرحت عليها، بعد عرضها، أسئلة تُظهر مدى الخلل فيها، ومدى انفصالها عن الواقع المعيشي الحي. لكن السيد الدكتور تعامى كلياً عن هذه الأسئلة.

العسكري» من هذا الفقيه الذي يمكن أن يحلَّ محلَّ «الإيديولوجي العلماني العسكري».

ومنذ أن بدأت هذه الثورة تتعثر وتضطرب، وحلتَّ صفةُ «الخمينية» محلَّ صفةِ «الإيرانية»، تراجع المفكرون والكتاب العرب الذين أيدوها، وتبحروا، ولم يبقَ إلا مؤيِّد واحد هو «المجرم» أدونيس.

وها هو أدونيس، اليوم، ودون أن يتخلَّى عن «خمينيته» يُصبح «وهائيًا» - بل يُصبح «الوهائي» الوحيد، تماماً كما هو «الخميني» الوحيد!

\*\*\*

هذه نماذج، أيها الصديق العزيز، لكي يتأكد لك أنَّ ما نسميه فكراً عند أصحاب تلك العقلية السحرية البدائية، لا علاقة له بالفكر، وإنما هو نوعٌ من تمذهبٍ أعمى، ليست الكلمات فيه إلا أدواتٍ للعنف والإرهاب والقتل: أبيض أو أسود.. معنا أو ضدنا.. هذه الطريق أو لا طريق أخرى.. لا تدرج.. لا إحساس بالفروقات.. لا فكر. وكلنا نعلم أنَّ من البدهاة أن يؤيد المفكر ماركس، مثلاً، في بعض آرائه، دون أن يكون أو أن يُصبح ماركسياً، وأن يؤيد الثورة الإيرانية، في بعض مطالبها وتوجهاتها، دون أن يكون أو يصبح خمينياً. لكن اللغة السائدة عندنا ليست لغة بحث وتساؤل ومعرفة، ليست لغة فكر، وإنما هي لغة تمذهبٍ أعمى.

\*\*\*

ثم إنَّ من يقرأ هذه «الردود» لا بدَّ من أن يتساءل: ما القضية التي يدافع عنها أصحابها هؤلاء؟ أو ما تلك التي يحاربونها؟ هل يحاربون الوهائية حقاً، أو الخمينية؟ ولماذا إذن، لم يسبق لهم، في أيِّ يوم، أن انتقدوا أيًّا منهما، أو واجهوها في أفكارها ومثليها؟ هكذا تبقى المسألة في المستوى الهجائي ويصبح دور الوهائية والخمينية أن تكون وسيلة هجاء.

وهل هم حقاً ضدَّ الحزب الذي يحاربونني باسمه، أو يحاربونه باسمي؟ فلماذا يكون المفكر ضدَّ شيء، لا بدَّ من أن يعرفه معرفة عميقة. والواقع أنهم دون ذلك؛ فمعلوماتهم عنه أقل من بدائية، ولا تتعدى مستوى: «زعيمه سنَّقه الشيوعيون».

### العقلية السحرية تحولني إلى أعجوبة أجمع الانتماءات كلها على تناقضها!

هكذا، ومادمث، على الرغم من الاختلاف أو الخلاف، أتعاملُ مع كلِّ فكر أو كلِّ شخصٍ أكتب عنه، بموضوعية واحترام، فإنَّ هذه العقلية السحرية تحولني إلى أعجوبة من الأعاجيب: أجمع الانتماءات كلها، على تناقضها.

بهذه الموضوعية نفسها، عرَّضتُ جميع الاتجاهات التي درستها في كتاب الثابت والمتحوّل. وفي هذه الموضوعية القائمة على احترام الآخر، وتقديم آرائه بدقة كاملة، ما يُوضح كيف أنه كان لا بُدَّ من أن أظهرَ في نظر من يتابعون ذلك التقليد المشؤوم، متماهياً مع الذين أتحدّث عنهم، وأن أبدو كأنني أتبنّي آراءهم. غير أنَّ السؤال هنا هو: لماذا لا يُماهيني هذا السحر إلا مع ما يرى أنه «الشرّ»؟ لماذا لا يُماهيني كذلك مع «الخير»؟ مع محمد عبده، أو الكواكبي، مثلاً؟ مع شعراءٍ مما قبل الإسلام، وما بعده، مثلاً آخر؟

وقد سبق أن رأيتُ في بعضٍ مُثلي هذه العقلية، عند صدور كتاب الثابت والمتحوّل، «ملحدًا»، و«فَرْمَطِيًّا» و«شعويًّا» لمجرد أنني عرضت بموضوعية ودقّة، بعيداً عن التعصّب، وخارج الأفكار الموروثة والشائعة، لأفكار الملاحدة والقرامطة والشعبيين، تماماً كما فعلتُ، بالنسبة إلى الأفكار التي تناقضها وتحاربها.

وهذا الدكتور نفسه نَشَرَ مؤخراً بالاشتراك مع شخصين آخرين، سوري وعراقي (...)، بياناً باللغة الفرنسية، بياناً - كتيباً، يشكونني فيه للغرب (الصديق؟ العدو؟) وكأنَّهم يقولون له: «لا يفرّك أدونيس. إنَّه «نازي» (بالحرف الواحد) ورئيس حزبه «سنَّقه الشيوعيون» (بالحرف الواحد). وهو، إلى ذلك، «خميني» و«وهائي» و«أصولي» - رجعي». وماذا يعني ذلك، عملياً، وفي الوضع الراهن الذي يعيشه العرب في فرنسا؟ إنه يعني بوضوحٍ كامل: أيُّها الفرنسيون، اعتقلوا أدونيس، أو اطرده!

لقد فشلنا فشلاً بائساً ومخزياً الحرب التي شنت عليّ، «حرب الانتحال»؛ فلا بُدَّ من شرِّ حربٍ أخرى، ولتكن هذه المرّة، ودفعة واحدة، «حرب الاستئصال». ولا أريد هنا أن أتساءل عمّن يقف وراء هذه الحروب (...). أتفرّغ عن ذلك، وأضرب عنه صفحاً.

أهذا فكّر أو نقد، أيُّها الصديق العزيز، أهذه ثقافة؟ أهؤلاء كتاب؟

### أيدت الثورة الإيرانية لكونها حركة شعبية عامة، وانتقدتها من حيث مضموناتها الدينية!

وأخذ مثلاً آخر وأخيراً: الثورة الإيرانية، هل كنتُ العربي الوحيد الذي أيدتها؟ لا بأس، فلا تكن الوحيد. نعم، لقد أيدتُ هذه الثورة - فاصلاً ومميّزاً بين كونها حركة شعبية عامة لا مثيل لها في الحركات الثورية الحديثة، وكونها مضموناً فكرياً. فهي من الناحية الأولى حركة ضدَّ النظام الأباطوري، وضدَّ التبعية للغرب الأوروبي - الأميركي. وفي هذا المستوى، وضمن حدوده، لا أزال أقف إلى جانبها. غير أنني، بالمقابل، ومن الناحية الثانية - وهذا ما يتعامى عنه أصحاب تلك العقلية المشؤومة - ولحظة تأييدي، كنتُ أوّل من انتقد هذه الثورة، من حيث مضموناتها الدينية، وبشكلٍ خاصّ إقامة الدولة على الدين، والوحدة بينهما، وكنتُ أوّل من حدّر في مقالٍ بعنوان «الفقيه

إنّ الفكر العربيّ، أيّها الصديق العزيز، لن يكون إذا تابع مسيرته هذه، مدعوماً ومحضوناً من وسائلنا الثقافية، إلاّ «السحر العربيّ البدائيّ» الذي سيكون تسليةً أخرى، وسخريةً أخرى، يستمتع بهما العالم وهو يفتّح لمنجزاته الكبرى أبواب القرن الواحد والعشرين.

ربّما يتّضح لك الآن أن هذا الدكتور وأمثاله، لا يعرفون أن يكتبوا إلاّ وفقاً لتلك العقلية السحرية البدائية: إمّا تشويهاً لمن يخالفهم، وإمّا تمجيداً لمن يتفق معهم ولو كان في أسفل الأسافل. و«منهجهم» في

## من عبد الوهاب المؤدّب

فاكس إلى السيد سهيل إدريس، سيدي الكريم

عندما قرأت المقال الذي نشره السيد حافظ صبري والمقصود: د. صبري حافظ - الآداب عن أدونيس في مجلّتك أصابني الوجوم لما ورد فيه. فلو كانت وُجّهت مثل تلك الأقاويل التي شخصياً وبصورة مباشرة لكتبت قائلتها بالصمت والازدراء. ولكن بما أنني معني بهذه المسألة - وإن كان غيائياً - أرى لزاماً عليّ أن أجيب.

لم يكن لأدونيس أيّ دور في تنظيم لقاء قرطاج (سبتمبر ١٩٩٤) وإنما حضره كضيف مشارك مثل سائر المشاركين. ويتعلق الأمر بلقاء أدبي عقده اليونسكو بالمشاركة مع نادي القلم الدولي وكنت أنا الذي توليت المسؤولية في تصوّره، وقمت فيه بدور المستشار والخير، ولذا فأنا الذي أتحمّل مسؤولية الخيارات والتوجهات التي اعتمدت أثناءه.

ولا أريد هنا أن أدخل في تفاصيل هذه المسألة، فرمما تستنى لي، يوماً، أن أقدم بذلك في ظرف آخر. ولكن لا بدّ من أن أقول لكم بصراحة إنني لا أريد إضاعة الوقت في تبرير موقفي أو في تصحيح التحريفات المذهلة، والحقائق المزورة والزيف والأكاذيب التي تضمنها ذلك المقال.

فما راعني لذلك [كذا؟] هو لهجة الاتهام التي يستعملها صاحب المقال، وأسلوبه البوليسي، التفتيشي، الوشائي الذي يستند على حجاج وأحكام مسبقة رغم أن الزمن قد عفا عليها، إلا أنها لا تزال رامية بجذورها في أذهان البعض، والهدف من ورائها هو الدعوة إلى سفك دم الآخر والتشهير به قصد اغتياله.

ذلك: فلان «رجعي» فالكتابة عنه، إذن «رجعية» إلا إذا كانت تشويهاً، ومن يكتب عنه، لا بدّ أن يكون مثله «رجعياً»... وفلان «تقدمي» في نظرهم، فالكتابة عنه إذن «تقدمية» إلا إذا كانت تشويهاً، ومن يكتب عنه لا بدّ أن يكون مثله «تقدمياً»؛ وليست «التقدمية» هنا في الواقع إلا قفا «الرجعية».

ووفقاً لهذه العقلية، لا تجوز الكتابة عن محمد بن عبد الوهاب، بل إنه لا يستحق حتى أن يُذكر، فكيف يجوز، إذن، أن يتجرأ أحدهم

وكان من الحري بكم، بصفتكم مديراً للنشر، أن تتأكدوا من صحة المعلومات التي نشرتها مجلّتك في هذا الصدد. فذلك النص المطبوع بالأكاذيب والافتراء الفادح، لو كان نُشر في بلد يحكمه القانون لكان تعرض كل من كاتبه وناشره إلى الملاحقة الجنائية. وإلا فسوف تعم القوضي وقانون الغاب. هل هذا هو الذي تريدونه؟ إن أقل ما يمكن أن تقوم به هو أن تطرح هذا السؤال.

أما بالنسبة لصاحب المقال الذي يعيش في أوروبا ويعمل في مؤسسة جامعية تعلم الحذر وتعتمد واجب التحقيق في صحة المصادر مبدأ منهجياً أساسياً، فأريد أن ألفت نظره إلى أن خطابه ذلك يتم عن شعور بالحق. كما أريد أن أحيله على ما قاله الفيلسوف نيتشه بشأن مثل هذه المواقف، عساه أن يعي أنه هو الذي يحمل في واقع الأمر، أعراض انحطاط حضارة وانهيائها الأخلاقي.

والغريب في الأمر هو أن صاحب المقال لا يدرك أنه يتجول في هذا العالم الرحب وهو لا يزال يحمل فوق ظهره مجسه العتيق، كما يحمل الحلزون قوقعة.

وأنا أطلب منكم أن تنشروا هذا التوضيح رداً على ذلك الخطاب الذي تصف بالدناءة وروح التدخل البوليسي والنميمة والأكاذيب التي يراد تحويلها إلى حجج، وهذه كلها أساليب ترمي إلى حفر إرادة القابضة في غريزة التجمع، أي في أبشع شكل من أشكال العمى الذي يقشع عيون الأغلبية.

باريس

## تعليق الآداب

سيدي الكريم،

١ - إنّ اللهجة التي كتبت بها تعليقك على مقال د. صبري حافظ ليست، على ما نعتقد، من العلمية في شيء. فإذا كان في مقال «حافظ» ما تصفه بأنه «أكاذيب»، فإن كلمتك لا تخلو من القذح الشخصي! ثم إنها لا تقدّم أيّ دحض ل«مزاعم» حافظ، ولا تحمل - بالتالي - أيّ قدر من الإقناع.

٢ - لا نعتقد أن يما يشرف كاتباً عربياً أن يتحمّل - كما فعلت - مسؤولية تنظيم ندوة تدعو كاتبين إسرائيلياً ويهودياً كندياً (ومغمورين أيضاً) ليس في موافقهما المعلنة ما يشكك بشرعية «إسرائيل»... في وقت تمجّد الدعوة عن كتاب عرب أمثال عبد الرحمن منيف وقرّاد التكرلي وعبد الرحمن الربيعي ويفصل دزاج من يمثّلون وجهة نظر قطاع واسع من المثقفين العرب.

٣ - من المؤسف أننا نعيش في بلد تسوده «القوضي» ويسوده «قانون الغاب». ونحن نبتلك على إقامتك في بلد «القانون» الذي لا يعرف تمييزاً عنصرياً ضد العمال العرب (بخاصة) ولم يسبق أن احتلّ بلادنا وبلادكم «الأصلية» وطبق عليها قوانيناً المعصرة الرفيعة. وإلى أن يسود حكم القانون في بلادنا، سنبقى - كناشرين - نرتع بفوضانا!

سهيل إدريس

بيروت

قديمًا: «أن تكون ملكاً لسان أحدهم أمرٌ يعني أنك تملك أفضل جزءٍ من روحه»، وتقول: ليكتبوا، إذن، ما يشاؤون - فأنا عيونهم وأيديهم، وأنا سهرهم وشغلهم الشاغل، وأنا أملك أفضل ما فيهم - كأنتي أجري في دمهم، وكأنتي نبضهم الحيّ.

### ثمة سوء نيّة وضغينة وتفاهة عند كل من يكتب ضديّ

واسمخ لي هنا، أيها الصديق العزيز، أن أستطرد فأشير إلى أنّ هناك مستوى من سوء النيّة عند كل من يكتبون ضديّ، ومستوى من الضغينة والتفاهة، أحاز في تعليهما. فكل ما أفعله، مثلاً، وكل ما أكتبه هو، في زعمهم، من أجل الحصول على جائزة نوبل. وهو زعم بائسٌ ومهينٌ لهم، وحدهم، لو يعلمون، ولا يمسنني، شخصياً، في أي شيء. ولو كان مثل هذا الذي يزعمونه عتيّ مفيداً في هذا الحصول، لما كان هناك أيّ دور، على الإطلاق، لواحدٍ مثلي، ولكانت هناك لائحةٌ طويلة من العرب أنفسهم، ومن غير العرب، يتقدّمونني بأشواطٍ في هذا الميدان، هيهات أن أكون فيها منافساً لأيّ منهم، بل إنني لا أذكرُ أبداً بالقياس إليهم - خصوصاً أنني وحيدٌ، ليس ورائي دولةٌ، ولا حزبٌ، ولا طائفةٌ، ولا جماعةٌ، ولا اتحادٌ، وما أسعدني بهذه الوحدة! وهذا نفسه يزيدني اعتزازاً وفخراً بأصدقائي المنتشرين في أنحاء الأرض العربية، وخارجها، الذين يجمعني بهم، على الرغم من الاختلاف والبعد، صدقُ البحث، وموضوعيّةُ النظر، وشجاعةُ الموقف، واحترامُ الإنسان، والوقوفُ دائماً إلى جانب الحرية، والدفاع عن حقوق الإنسان وعن الكرامة البشرية. ويزيدني كذلك اعتزازاً وفخراً بهذه القوة المعنويّة العالية التي يمثلها هؤلاء الأصدقاء، المفكرون والكتاب، في مختلف اتجاهاتهم، قريين أو بعيدين. فلقد برهنتُ هذه القوّة، على الرغم من أزمنة الانهيار، أنّها القوّة التي لا تنخدع بالتزوير والصّحيج الذي يرافقه، وأنّها الصّميم الحيّ الشاهر. إنّه بما تكتنزه وتصدر عنه قوّة لا تُغلب أبداً. ومن هذه القوّة بالضبط أستمدّ قوتيّ.

إن الكلام على جائزة نوبل في الوسط الثقافي العربيّ، وكما يتجلّى في وسائل الإعلام، عازٌّ على الثقافة العربية، من حيث مستواه المعرفي والأخلاقي؛ فهو يعطي عن هذه الثقافة صورةً صغيرةً حتى التقرّم.. عدا أنه يُفصح عن ذهنيّة بائسة، وعن جهل كامل بطبيعة الأشياء؛ إضافةً إلى أنّه تحقيرٌ للبشر، وللقضايا، لا يليق بالمفكر أو الكاتب، ولا يليق بالثقافة. وهذا كله يؤكّد أنّ الأفكار، مهما كانت عظيمةً، تصغر حين تمرّ في العقول الصغيرة.

أحييك، أيها الصديق العزيز، أملاً أن تنشر هذه الرسالة في أوّل عددٍ يصدر من مجلّتك - مجلّتنا.

ولك تقديري الكبير، ومودّتي الدائمة.

باريس في ٢٥ نيسان ١٩٩٥  
أدونيس

وينظر إليه وإلى ما يمثله، بجهدٍ وترصنٍ واحترامٍ؟ لن يكون ذلك إلا خرقاً لتلك «التقدّمية» يتماهى مع «الرجعيّة» نفسها. إنّ مثل هذا الموقف لا يكشف وحسب عن غياب الهاجس المعرفي عند أصحابه، وإنما يكشف كذلك عن انهيار الأخلاق والقيم والثقافة.

إنّ محمد بن عبد الوهاب، مهما كانت أفكاره، ومهما كان الرأي فيها، أكثر من مجرّد داعية. إنه تيّاز - امتدادٌ لفكر سلفي - أصوليٍّ أسس له ابنُ تيميّة... وهو التيّاز الإسلاميّ الغالب، اليوم، إن شئنا المعرفة والموضوعيّة، وله، عدا هذا الجانب التّظريّ - المعقديّ، حضورٌ قويّ، وفعلٌ، ومنظّم، في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ؛ ونبذه، أو إنكاره، لا يغيّران من الأمر شيئاً وإنما يثيران إلى ضحالة الناظرين، وإلى جهلهم أو خوفهم، وإلى انحيازهم الإيديولوجيّ المسكين والأعمى.

الموقف الطبيعيّ الصحيح، بالنسبة إليّ، هو دراسة هذا التيّاز، ودراسة ممثليه، بشكلٍ واضح، وعلميٍّ، من داخل أصوله ومبادئه ومقدّماته المعرفية، لكي نكتنّه حقّاً، واقع ثقافتنا، وواقع مجتمعاتنا، ولكي نفهم الإسلام في مختلف تأويلاته، ولكي نعرف، من ثمّ، كيف نبني فكراً جديداً، ومجتمعاً جديداً.

أفلا يستطيع المفكر العربيّ، إذن، أن يتحدّث عن «عدوّه» الفكريّ، أو المختلف عنه، إلا بتشويهه، أو نبذه، أو قتله؟ ما أشدّ، إذن، يؤس الفكر العربيّ، وما أشدّ يؤس العرب بهذا الفكر!

لو راجعت، أيها الصديق العزيز، مجلات العالم كلّ، لما رأيت كتاباً يعامل بعضهم بعضاً بمثل تلك العقلية المتمثّلة في تلك التي سميتها «ردوداً» وأفسحت لها صدرٌ مجلّتك. أقول: لا نرى مثل هذه العقلية ومثّل هذا التعامل إلا في البلدان التي ليست لها ثقافة وتقاليد ثقافية عريقة، أو في بعض البلدان التي أعمتها الصراعات الإيديولوجية، والصراعات الديكتاتورية، على السّلطة خصوصاً، والتي لا تكون وسائلها الثقافية - الإعلامية، إلا صورةً عنها - تزويراً، وتشويهاً، وابتذالاً.

لهذا، واحتراماً لتاريخ الثقافة العربية، وللغة العربية، لا أقدر أن أدرج هذه «الردود» في إطار الثقافة، والحوار الثقافيّ. فلست أرى فيها إلا ظاهرةً «نفسية». وهي بوصفها كذلك، ليست إلا «تنفيساً» عبر شخص يُتخذ «كبش فداء» وتلقى عليه جميع الخيبات والإحباطات والأخطاء، وتُنسب إليه جميع المخازي، بحيث يُخيّل أن الخلاص منه هو وحده الخلاص من جميع الكوارث والهزائم، وأن انتصار الأمة لا يتمّ إلا بقتله ومحوه من الوجود.

هذا عدا أنني أعلم علم اليقين أنّ وراء هذه «الردود» دوافعٌ أخرى تُرتفع على الخوض فيها.

\*\*\*

يعزّيك أحياناً، ولو سلبياً، أن يكتب عنك بعضهم ناظراً إليك كما لو أنّك دميةٌ، أو ملكٌ خاصّ. يعزّيك هذا خصوصاً عندما تذكر قولاً